... والتحقيقات جارية

بقلم : رقيب أحمد

مابين مقر الحكومة والمدينة [س] من جانبها الشرقي فسحة من الأرض لايفصلها عن المدينة إلا طريق عام يتصل اوله بنهر الفرات واخره بمستنقع كبير قديم . وكانت الحكومة قد استملكت هذه الفسحة من الأرض لاغراض دفعتها اليها ظروف خاصه واحوال معينة فأنشأت لنفسها على جزء منها ثكنة جعلتها لها معقلا ومقاما أما تبقي من الأرض فقد دأبت على استئجارها من الحكومة عائلة يمتهن افرادها الفلاحة منذ عهد بعيد ويمارسونها في البساتين القريبة كل القرب من المدينة وحياتها .

ولما كانت هذه العائلة قد تعودت على جوار المدينة وتطبعت على إلفة مظاهر الحياة المدنية فيها واستأنست بما تراه سائداً بين طبقات المدنيين من حب لروح التعاون والتعارف ، واستعداد لتبادل الثقة والمنفعة فقد شق على افراد اسرتها الأبتعاد عن المدينة التي اصبحت شؤونها واحداثها متصلة اتصالا وثيقاً في مقومات حياتهم المادية والروحية ايضاً . فطفقت هذه العائلة تتلمس الميادين القريبة الصالحة لتباشر بها عملها وتستدر منها رزقها . فوجدت في تلك الفسحة من الأرض مجالا خصيبا لأستثمار نشاطها الفعال ، فاحسنت فيها التصرف والأعمار وذلك باستغلالها كلها لكل ماتصلح له وتجود به من نتاج دارج تحتاج اليه المدينة وتستهلكه في حياتها اليومية من مختلف صنوف الخضر في جميع فصول السنة واوقاتها .

وكان [محمد] اكبر انجال ابيه وآثرهم لديه مكانة وقدراً ، وذلك لقربه من نفسه ولفهمه وادراكه لما يدور في خلد والده من رغاب وامان تعود في واقع تحقيقها الى مصلحة الأسرة كلها والى مايتعلق بمستقبلها من الأخذ بالأسباب التي تمهد لها عيشاً له نصيب من مسايرة الذوق الدارج المألوف في حياة المدينة الاجتماعية .

لذا فقد اعتمده والده في ادارة اموره واوكل اليه الأخذ بوجوه التصرف فيها بما يراه مناسباً لها من حلول وتدابير .

وكان أن وقع « محمد » عند حسن ظن ابيه فيه ، اذ أنه كان المثال الصالح للعامل المجد الشغوف بعمله والمخلص له ، فما ادخر وسعاً من مجهوده في سبيل احياء الأرض واستغلالها على خير وجه واتمه ، ولا بخل بعطف على من هم دونه سناً من اشقائه وباقي افراد اسرته . فقد تكفلهم بالعطف والرعاية حتى لقد تسنى له أن يمهد لشقيق له بأن يكون معلماً فكان ، واصبح عضواً عاملا في اسرة التعليم في المعارف ، وقد ترك له حق التصرف باختيار لون الحياة الذي يريد أن يحيي به حسب ماتوحي له رغبته وحريته .

وكذلك كان محمد في سلوكه مع من له من المعارف والأصدقاء في داخل المدينة ، فهو محبب اليهم وعزيز لديهم وذلك لما عرفوه فيه من صفاء نفس ساذجة بريئة ، للأخلاص والوفاء فيها قرار عميق واثر لايزول .

ولما كان الطريق العام الذي يفصل البلدة عن مزرعته والذي يتصل اوله بالنهر مسرحاً للغدو والرواح لأجناس كثيرة من مختلف انواع الحيوانات الوافدة لورد الماء ، فقد تنبه مسؤول من رجال الحكومة المحلية الى ماقد تحدثه ارجل الحيوانات من تآكل في سدة النهر ربما يودي بها الى الأنهيار فيجتاح البلدة غرق مفاجيء في موسم طغيان الماء وثورته .

فأصدر ذلك المسؤول امره لصاحب المزرعة بوجوب المحافظة من قبله على سدة النهر المتصلة بأول الطريق العام والزمه بوجوب منعه كل من يحاول أن يجتاز عليها بحيواناته وماشيته . ولم يستمع الرجل المسؤول الى التوسلات والأعتذارات التي لثرها « محمد » بين يديه لأعفائه عن مثل هذا التكليف الذي لم يكن من واجبه يوماً ، والذي لايطاع له به رأي ، ولا تنفذ له منه كلمه . بل القى اليه امره صارماً مبرماً حتى لكأنه القاه الى قوة تنفيذية تصبح مسؤولة امام سطوته إن هي تراجعت عن تحقيقه نتيجة لضعف